حراك الشباب الثائر في غزة... هل يعيد مسيرات العودة؟

وسام ابوشنالة
كاتب ومحلل سياسي

شهدت جبهة قطاع غزة تصاعداً متدرّجاً في المقاومة الشعبية على تخوم الجدار العسكري الذي أنشأه العدو شرق القطاع، وبدأ ما بات يعرف بالشباب الثائر في التوجّه يومياً لمخيمات العودة التي أنشأت إبان مسيرات العودة عام ٢٠١٨، ما أدى إلى سقوط شهداء وجرحى، وشهد يوم الجمعة توسّعاً لانتشار الشباب الثائر على طول مخيمات العودة، ما يؤشّر على إمكانية تصاعد المقاومة الشعبية ضد العدو على جبهة قطاع غزة، على نحو يعيد بالذاكرة الفلسطينية لمسيرات العودة الأولى قبل نحو خمسة أعوام.

قبيل انطلاق شرارة مسيرات العودة عام ٢٠١٨ دار نقاش عميق بين أبرز المنظّرين والداعين للمسيرات_ وكنت واحداً منهم _ حول هدف الدعوة لمسيرات العودة، وطرحت العديد من الأسئلة حول قدرة المسيرات على تحقيق هدف استراتيجي لشعبنا الفلسطيني المتمثّل بعودة جموع اللاجئين إلى ديارهم التي طردوا منها، وما مدى استجابة والتزام الجماهير بهذا التوجّه الشعبي السلمي؟

تقديران طُرحا في حينه؛ الأول التمسّك بعنوان مسيرات العودة الشعبية السلمية التي ترتكز على عدة مبادئ وقواعد؛ أبرزها الاعتصام المفتوح، وقاعدة صفر خسائر، والحشد الشعبي المتصاعد، والانتشار لباقي الساحات، والتقدّم الشعبي السلمي المتدرّج. تقدير آخر طُرح وهو وضع عنوان وهدف تكتيكي يمكن إنجازه، وهو كسر الحصار عن غزة إلى جانب العنوان الاستراتيجي وهو العودة. إلا أن الرؤية استقرّت على تقييم مسار المسيرات وتقييم نجاحها في الحشد، والاستمرار والانتشار وقياس ردة فعل الاحتلال والمجتمع الدولي، واتفق المنظّمون على الدمج بين الاستراتيجي والتكتيكي، وأصبح عنوان الحراك "مسيرات العودة وكسر الحصار"، والعمل على ابتكار الأدوات والأساليب التي تحقّق الأهداف.

ومع عودة الحراك الشعبي في مخيمات العودة، يستعيد الشعب الفلسطيني في قطاع غزة المبادرة الشعبية، انسجاماً مع التطورات على الجبهة الفلسطينية، التي شهدت تحوّلات لافتة منذ معركة سيف القدس، أبرزها تجسيد معادلة الربط بين الساحات ووحدة الجبهات، على نحو تشهد فيه مختلف الجبهات تصاعداً في مستوى المواجهة مع العدو، ولا سيما ساحة الضفة الغربية، التي تتصاعد فيها عمليات المقاومة وتأخذ شكل الموجات المتصاعدة والمتتالية، بينما ساهمت قوى المقاومة في جبهتي قطاع غزة ولبنان في تعزيز المد الثوري في الضفة عبر التحريض والتمويل وحتى التشغيل.

مع تولّي حكومة اليمين الفاشي بقيادة الثلاثي نتنياهو/سموتريتش/بن غفير، تصاعد العدوان على القدس والأقصى والأسرى، كما ارتفعت وتيرة الاستيطان واعتداءات المستوطنين في الضفة، وارتفع مستوى الاقتحامات لمدن الضفة ولا سيما جنين ونابلس، على نحو أدى إلى مواجهتين عسكريتين مع المقاومة في قطاع غزة، وعمليات فدائية عبر جبهة لبنان، أبرزها إطلاق نحو ٣٠ صاروخاً في شهر رمضان، وعملية مجدو في شهر آذار/مارس الماضي، ومؤخراً تصاعدت التحركات الشعبية على الحدود اللبنانية مع فلسطين المحتلة، ولا سيما ما بات يعرف بقضية الخيام.

إن حراك الشباب الثائر في قطاع غزة، انطلق تعبيراً عن حالة الغضب المتصاعدة بسبب سياسة العدو الإجرامية تجاه الأقصى والأسرى، كما يأتي الحراك تفاعلاً مع الحالة الثورية المتصاعدة في الضفة، إلا أن عودة تنويع الفعل المقاوم في قطاع غزة، تشير إلى الاستجابة المباشرة لمعادلة وحدة الساحات، التي قد لا تتطلّب في المرحلة الحالية مواجهة عسكرية واسعة مع قطاع غزة، ويمكن أن يتم التعبير عنها عبر حراك الشباب الثائر في مخيمات العودة.

للتذكير فإنّ مسيرات العودة عام ٢٠١٨ شاركت فيها المكوّنات الشعبية والوطنية كافة، واتخذت المسيرات شكلين شعبيين، الأول يوصف بالحراك الشعبي الناعم، وفيه تحتشد الجماهير في مخيمات العودة الخمسة على بعد ٣٠٠ متر تقريباً، نظّمت فيه فعاليات تراثية وفنية ووطنية؛ والشكل الثاني يعتبر حراكاً شعبياً خشناً ابتكره الميدان تمثّل في إنشاء وحدات تستنزف العدو مادياً ومعنوياً من دون استخدام وسائل عسكرية، مثل الإرباك الليلي والبالونات والأطباق الطائرة ووحدات قص السياج الفاصل، وغيرها من الأدوات والوسائل الإبداعية.

> إن حراك مسيرات العودة عام ٢٠١٨ شكّل تحوّلاً حقيقياً في النضال الفلسطيني، وأضاف أداة إبداعية شعبية توازي الإبداع الشعبي النضالي الفلسطيني في انتفاضة الحجارة عام ١٩٨٧

يعتبر العدو أن حراك الشباب الثائر في غزة، ما هو إلا شكل من أشكال المعركة بين الحروب التي تديرها المقاومة في إطار مساعيها لإشعال الساحات والجبهات وصراعها مع العدو، الأمر الذي سيسعى فيه العدو لعسكرة الحراك، عبر استهداف مواقع عسكرية للمقاومة، على غرار ما حدث مساء الجمعة باستهداف مراصد تتبع للمقاومة في غزة.

ويسعى العدو بكلّ الوسائل لتجنّب سيناريو مسيرات العودة الذي أرهقه واستنزف جيشه طوال خمسة أعوام، إلا أنه يُستبعد أن ترد المقاومة عسكرياً على العدو في هذه المرحلة، وستترك مساحة أكبر للحراك الشعبي الثائر، الذي قد يشهد تصاعداً في قادم الأيام التي ستعود فيه قضيتا الأقصى والأسرى إلى الواجهة، ولا سيما في موسم الأعياد اليهودية.

إن حراك مسيرات العودة عام ٢٠١٨ شكّل تحوّلاً حقيقياً في النضال الفلسطيني، وأضاف أداة إبداعية شعبية توازي الإبداع الشعبي النضالي الفلسطيني في انتفاضة الحجارة عام ١٩٨٧، على نحو لم يرتهن فيه الشعب الفلسطيني لثنائية السلم أو الحرب، بل طوّر أدوات الصراع مع العدو، وحافظ على ديمومته واستمراريته بما يؤدي إلى إرهاق العدو واستنزافه على مختلف الساحات والجبهات، الأمر الذي يدفع جبهة قطاع غزة لتفعيل أدوات المواجهة مع العدو، بما فيها الأداة الشعبية، التي قد لا تكرّر سيناريو مسيرات العودة، إلا أنها تستلهم منها الأدوات الفاعلة التي ترهق العدو وجيشه والمستوطنين في ما يسمّى بغلاف غزة.

تركيا والاتحاد الأوروبيّ... «باي باي» إردوغان

حسني محلي
كاتب ومحلل سياسي

بعد شهرين ونيف من القمة الأطلسية التي انعقدت في العاصمة الليتوانية فيلنيوس في ١١ تموز/يوليو الماضي، فوجئت أنقرة بالتقرير السنوي للبرلمان الأوروبي الذي أقرّه بأغلبية ٤٣٤ واعتراض ١٨ وامتناع ١٥٢ عضواً عن التصويت. التقرير الذي يعتبر بمثابة التوصية للمجلس الأوروبي والقمة الأوروبية التي ستعلن عن تقريرها السنوي الخاص بتركيا أواخر الشهر المقبل، أثار ردود فعل عنيفة في أنقرة.

الخارجية التركية استنكرت قرار البرلمان وقالت عنه "إنه سطحيّ وذو رؤية ضيّقة وغير منطقي، ويحمل في طياته النوايا السيئة والقناعات المسبقة لمن أعدّوه ووافقوا عليه". ردّ الفعل التركي العنيف على مستويات مختلفة، بما في ذلك تصريحات الرئيس إردوغان، يعكس بكل وضوح خيبة أمل إردوغان من وعود المسؤولين الأوروبيّين والرئيس بايدن له قبل وخلال القمة الأطلسية التي وافق خلالها إردوغان على انضمام السويد للحلف الأطلسي، مقابل فتح أبواب الاتحاد في وجه الأتراك.

وهذا ما قاله إردوغان آنذاك للشعب التركي بعد حملة المعارضة التي اتهمته بالتراجع عن تهديداته للغرب في موضوع السويد وفنلندا، كما فعل ذلك مع زعماء الإمارات والسعودية ومصر والكيان الصهيوني من دون أي مبالاة من أتباعه وأنصاره الذين اعتادوا على هذا السلوك السياسي لإردوغان.

تقرير البرلمان الأوروبي استبعد أي تطورات مثيرة وعملية على طريق مباحثات العضوية بين أنقرة والاتحاد الأوروبي، واشترط لذلك "إجراء إصلاحات شاملة وجذرية وعملية في مجال الديمقراطية وحقوق الإنسان، بعد أن رفضت تركيا الالتزام بقرارات محكمة حقوق الإنسان الأوروبية في العديد من القضايا الحقوقية، وأهمها اعتقال قيادات حزب الشعوب الديمقراطي السابقين ورجل الأعمال عثمان كافالا".

وأعلن معظم القادة والمسؤولين الأوروبيّين طيلة السنوات الماضية عن انزعاجهم وقلقهم من هذه السياسات التي يستغلها إردوغان في حساباته الداخلية، حيث هو يهدّد ويتوعّد الغرب قبل كل انتخابات ومنذ استلامه للسلطة نهاية ٢٠٠٢. وهذا ما فعله قبل الانتخابات الأخيرة حيث هدّد وتوعّد أوروبا وأميركا، وقال عنها ومعه إعلامه الموالي إنها "تغار وتحسد تركيا على نجاحاتها وانتصاراتها العظيمة في جميع المجالات".

وعودة لعلاقات أنقرة مع الاتحاد الأوروبي الذي كان عدد أعضائه خمس دول فقط عندما وقّعت تركيا على اتفاقية العضوية مع السوق الأوروبية المشتركة عام ١٩٦٣ وهم الآن ٢٧ دولة، فقد بات واضحاً أن قرار البرلمان الأخير كان بمثابة الإعلان الرسمي عمّا هو معروف لدى الجميع، وهو إغلاق أبواب الاتحاد في وجه الأتراك إلى الأبد.

وكأنّ الأوروبيّين يقولون لإردوغان: "باي باي يا إردوغان فأنت لا تليق بنا وبثقافتنا، إذ إنك لم تخطُ أية خطوة خلال عشرين عاماً على طريق الالتزام بمعايير كوبنهاغن، وخاصة تلك التي لها علاقة بالديمقراطية وحقوق الإنسان وحرية التعبير". وكان قرار الاتحاد بضم جمهورية قبرص التي يمثّلها القبارصة اليونانيون فقط إلى الاتحاد عام ٢٠٠٤ بمثابة المؤشر الأهمّ والأخير على الرفض الأوروبي لاحتضان الأتراك داخل البيت الأوروبي المسيحي، وهم على أبوابه منذ ٦٠ عاماً.

> يعرف الجميع أن لا أحد في الاتحاد ينظر إلى تركيا تحت حكم إردوغان نظرة إيجابية باستثناء أولئك الذين يستفيدون منه بشكل أو بآخر وفي عدة أصعدة

ومن دون أن يعني كل ذلك أن الرئيس إردوغان المعروف عنه عداؤه القومي والديني لأوروبا منذ شبابه، جادّ في حديثه عن العلاقة مع الاتحاد، طالما أن الطرفين مستفيدان اقتصادياً وتجارياً من هذه العلاقة في إطار الاتفاقية الجمركية الموقّع عليها عام ١٩٩٦. كما تستفيد أنقرة من الوجود الواسع للمواطنين الأتراك في دول الاتحاد بعد أن وصل عددهم إلى خمسة ملايين، ويرى فيهم إردوغان سلاحه النفسي للدعاية لأفكاره المطعّمة دينياً وقومياً وتاريخياً، وحتى لو أزعج ذلك العديد من العواصم الأوروبية التي تستثمر مئات المليارات من الدولارات في تركيا، التي تصدّر نحو ستين في المئة من مجموع صادراتها إلى دول الاتحاد الأوروبي.

ويعرف الجميع أن لا أحد في الاتحاد ينظر إلى تركيا تحت حكم إردوغان نظرة إيجابية باستثناء أولئك الذي يستفيدون منه بشكل أو بآخر على كلّ الأصعدة الداخلية تركياً أو إقليمياً ودولياً، كما هو الحال منذ ما يسمّى بمشروع الشرق الأوسط الكبير، ولاحقاً ما يسمّى بـ "الربيع العربي" الذي أدّت تركيا فيه وما زالت الدور الرئيسي!

التحليل الإخباري

التطبيع مع الشيطان الأميركي

أحمد فؤاد
موقع العهد الاخباري

ليبيا تقدم لنا الدرس الأحدث، في سلسلة دروسنا المنسية بالتعامل مع الشيطان الأميركي. أنت مهم حين تضعك واشنطن على لائحة أولوياتها وجداول استهدافها، وأنت حاضر في ذلك "الضمير العالمي" بقدر ما تحرك من أطماع الولايات المتحدة في سرقتك أو تدميرك، وأنت حاضر بالقدر ذاته الذي تثيره من لعابها ورغبتها في افتراسك ونهش لحمك، وحين تقف في الخندق الأميركي - ولو مصادفة. فأنت بطل وثائر ورمز للشجاعة، أما أي شيء خلاف ذلك، فأنت منفي إلى مجاهل النسيان.

خلال أحداث الربيع العربي المشؤوم، وحين جاء الدور على ليبيا، بعد أن وصل الفيروس الأميركي إلى مفاصلها وتسرب إلى أعصابها، ومع افتقاد المجتمع للمناعة وتبديد نظامه لمقاومته الطبيعية وإرادة شعبه وقدرته، انطبق على الجميع المثل الشهير "أُكِلتُ يوم أُكِلَ الثورُ الأبيض"، وصار الإحساس العميق بالعجز واليأس هو المسيطر على الساحة العربية، مع فقدان البوصلة السليمة، ومشاهد الضحايا الأليمة، التي انتشرت على طول السواحل الليبية، وصور أهلها الذين دمرهم إعصار دانيال، ثم وقف الجميع يتفرج ويتابع، مع نوايا التدخل الإنساني التي قد فات وقتها وأوانها.

وبعد أن انتهت عملية "فجر الأوديسا" بالتخلص من القذافي ومحو نظامه من الوجود، فإن التدخل الأميركي اكتمل بتدمير الدولة ونسف مقدرات استمرارها، وتقسيمها إلى ما يشبه مناطق فترة الإقطاع في عصور أوروبا المظلمة، ميليشيات تحت كل المسميات تسيطر بالسلاح وتكسب به قوتها، مذابح لا تتوقف، ونزيف لا يعرف نهاية أو حدودًا، والتنظيمات كلها لا يجمع بينها شيء بعد هذا إلا ولاؤها للأميركي، سواء في شرق ليبيا أو غربها.

ما الذي حدث بالضبط، وأدى إلى هذه الكارثة الإنسانية المفجعة؟ إنه غياب الدولة قولًا واحدًا، وفاصلًا، وتقزيم الدولة بالمناسبة وعلى الهامش أحد أهداف صندوق النقد الدولي المعلنة والواضحة والمطبقة في عالمنا العربي، على سبيل المثال، فإن الأمين العام للمنظمة العالمية للأرصاد الجوية التابعة للأمم المتحدة، بيتيري تالاس، قال إنه "كان من الممكن تفادي سقوط معظم الضحايا" جراء إعصار دانيال في ليبيا، وكان المطلوب من الحكومة والمسؤولين إصدار إنذارات فورية بشكل يمكن هيئات إدارة الحالات الطارئة من إجلاء السكان وتفادي معظم الخسائر البشرية، لكن "الفوضى المخيمة في هذا البلد" قد منعت التعامل الصحيح مع الكارثة.

وتعد مدينة درنة المنكوبة ثالث أكبر مدن الشرق الليبي، بعد بنغازي والبيضاء ووفقًا لتصريحات عبد المنعم الغيثي، رئيس بلدية درنة، فإن عاصفة دانيال تسببت في سيول كثيفة، كانت أكبر من قدرة المدينة على التحمل، وأعقبها انهيار سدي وادي درنة، وتراكم المياه المنحدرة من الجبل المحاذي للمدينة من جهة الجنوب، وتضاعفت المأساة.

اليوم.. لا تقدم معظم الدول العربية سوى وعود بالمساعدة، ونوايا بإرسال فرق الإنقاذ والمساعدات، بعد مرور أيام كإنها الدهور على الشعب الشقيق المنكوب، تحولت ليبيا بفعل الأميركي وتدخلاته من رصيد للشعوب العربية وقضاياها ومستقبلها إلى عبء، تمامًا كما يحاول المطبعون والمرجفون أن يروجوه عن قضية فلسطين، وهم في هذا لا يخرجون عن حقيقة كوننا أمة واحدة، لكنهم قبل ذلك يدمرون مصالحنا وقضايانا الواحدة تلو الأخرى.